

## الشاعر منصت للشعب

### الطاهر بنجلون

1 - تغير الزمن الذي كان العرب فيه يعتبرون كل شاعر متنبيا ، انسانا طامحا للنبوذة ، متأملا سماء صافية ، حيث لا بد ان تظهر خطوط القدر ، وعلامات امستقبل . هذا المفهوم ابعد الشاعر عن الواقعي ( اليومي والتخيلي ) ، ثم دعم استمرار الصوفية ، صوفية لا تنفذ الى العمق ، مما جعل الشعر التقليدي مجرد غواية بالنسبة لها .

« ان الشاعر العربي اليوم ، كما يقول ادونيس ، يجب ان يحس في ذاته انهيار هذه المفاهيم القديمة ، ويكشف هذا القناع الذي يغلف الواقع الحياتي . يجب ان يكون الشعر قدرنا الانساني » .

ليس رائدا ولا نبيا ، يجب ان يكون الشاعر منصتا للزمن وما ينطق به ، ومنصتا لذاكرة الواقع أيضا .

ليس المقصود اعادة خلق الواقع ، ولا تكرار ما نراه ، بل هو اقل من كل مزايذة تجاه مفعول الكلمات المفرغة ، المنحطة ، والتي تتملق ولكنها تتطفو فوق السطح اللامع للنص . ان المقصود هو اختراق المرئي، والتوجه نحو الاساسي ، وهذا الاساسي ليس ما ينكشف لنا عادة .

هناك تقليد نقافي دعم وجود ثنائية متعددة : انفعال الحياة عن الشعر، انفصال الواقع السياسي والواقع الاقتصادي عن الشعر ، انفصال الجسم عن التخيل ، انفصال الحلم عن الثورة ، بينما يملك خيالنا طاقة كبيرة من الوجود والواقع ، وبالتالي يملك طاقة كبيرة من الاهمية في مقارنته مع حياتنا اليومية المفرغة من كل بعد خيالي ، والتي اصبح فيها واقع احلامنا عرضة للنكران . بالاضافة الى ذلك نجد صمود تخيل معطوب ، جامد ، مفلق على اشكال اخرى من القول والفعل ، وهذا شيء محرر ما دام على التخيل ان يرفض كل رقابة .

ولا يمكن ان نقف الى جانب الحياة ، لان القصيدة يجب ان تكون الحياة نفسها ، في حقيقتها الاساسية . يجب ان تعرى الموت الذي نزيغه ونسيه حياة ، اي اعطاء الشعر منطقته عن طريق انضاج حدوده التي تحصرها

الرغبات الظاهرية بين الحياة والواقع .

2 - وقبل اعطاء تعريفى الخاص للشعر الحقيقى أحب القيام بفضح الخطر الذى يمثله الشعر المزيف ، اللاشعر الذى ينتشر مع الاسف فى معظم الدول المسماة بالعالم الثالث ، ونعنى به ما يسمى (الشعر الملتزم) بكل سهولة . اننا غالبا ما يحدث لنا ان نخطئ الصواب ونسقط فى الديماغوجية عند بحثنا عن الاخلاص والواقعية دون وعى منا بذلك . ولنقل بسرعة : القصيدة شئ آخر غير الشعارات ، وواقعية القصيدة ليست فى التطابق ، حقيقة القصيدة نكران للفقر ، وجمالها ليس فى القناعة ، انها غير التأمل والنحيب .

والشاعر المزيف هو الذى يفصل اراديا الشعر عن الحياة حين يجعل نفسه مركز الكون . هناك من يفصل الحياة عن الشعر دون أن يعلم بذلك حتى أنه يذهب الى التفريق بينهما عند تسميته الاشياء ، بينما التسمية هى الالغاء دون اى انتهاك ، هى تحطيم الفعل نفسه للقصيدة ، استعمال الشعر كمحمول ، كشاشة ثانوية للانعكاس والانتقال ، رسم للعالم دون النفاذ فيه وتغييره . والنصوص او الاشخاص الذين يسمون الظاهرة ، ويظنون أنهم ملتزمون ، عند كتابتهم لكلمات الحرية والبؤس والثورة الخ ... يساهمون بالفعل فى ابعاد الشعر عن وظيفته الحقيقية الكامنة فى القبض على الاصيل ، والذهاب اعمق ما يمكن فى ذلك .

ان الفعلية الثورية تكمن فى حقيقة القصيدة - كتعبير عن الحياة بكل متطلباتها - وليست فى الضروريات الاجتماعية المرسومة ، المسماة بالمنقولة فى لغة مؤسسة عن طريف بنيات لغوية وذهنية ثابتة ، والمعروضة وفق صدق الظاهر .

تصبح القصيدة حقيقة عند ما تتخلص من كل استيلا ب ، وتأخذ حدودها تجاه كل الايديولوجيات ، وتعيد القوة الكامنة فى الواقع بالصورة والكلمة .

لا يمكن للشعر أن يكون الا حقيقة . والحقيقة بطبيعة الحال هسى وحدها الثورية ( غرامشى ) ، يجب أن ينبع الشاعر من الواقع ليكون حقيقة ثوريا ، بمعنى أن يكون حرا ، كاملا ومستقلا ( لا علاقة لهذا بالنبوة ، ولكن بمفهوم التحرر وتغيير الواقع ) .

هناك أيضا واقع احلامنا وواقع اهوائنا . وقد كتب الشاعر جان بيير دوبرى فى هذا المعنى « انا من بين الذين لا يرون سطح البحر ، ولكن اعماقه وثقبه ووحوشه واشباحه . انا من بين الذين ذهبت عيونهم للامسق » .

الشعر هو وحده الذى يستطيع تحويل الواقع الى شكل عجيب كما يقول رامبو « لن ينغم الشعر الفعل ، بل سيكون فى الامام » .

ان نكون في الامام داخل منطقة اللغة الجديدة ، حتى نتكلم الى — مع  
الآخرين عند الحديث مع انفسنا . وينهض شعراء آخرون .  
تخطيط اللغة المؤسسة هو الهدف الاول للشعر . ولا يمكن تغيير  
الواقع بلغة الطبقة المسيطرة .

3 — ليس هناك شعب عاش بدون شعر . ولكن عادة ما أنكر شعر  
الشعب ولم يعترف به . والذين يتحبون هذا الحظ في ابيات متعفنة  
يتملقونه ويخونونه . وبدلا من الانصات اليه تصبح الناطقين باسمه مباشرة ،  
ثم تكتب ما نريد . وفي هذه الحالات لا يموت الشعر ، ولكننا نحن الذين  
نموت بالشعر والحياة .

لننصت للزمن

وننصت للارض

لا يمكن لاي شعر ان يولد من العدم . يمكن ان يولد من صمت . من  
جرج ، من ارض وشعب يقتل ببشاعة . الشعر يسخر من الجغرافيا .  
انه يد الشمس وسماء الاوطان الحبلية . البحر يتكلم والموج يعود بين  
يدى الطفل الذي يمزق الشراع . القصيدة حاجز في طريق الزمن المستقيم .  
نتعلم بصعوبة قراءة النجم والحاح المستقبل .

قصيدة المستقبل هي وطن الرفض « ادونيس » .

4 — القصيدة تجمع لنفسها كل المعاني الاكثر اهمية ، والاقبل  
آنية ، ولكنها الاكثر الحاحا . القصيدة ليست معادلة تحتل مكان تفسير  
العالم . انها علاقة جديدة بين الانسان والعالم . واللامنى هو غواية  
محتملة ، فليس هناك شيء واضح ، ومن ثم لا تطلبوا من الشاعر ان  
يكون واضحا نفس وضوح المعلق الرياضي . حينما تطلب من الكاتب ان  
يكون واضحا نلح عليه الا يغير اسلوبه ، ولكن أفكاره . اننا لا نبحث  
عن التعمية .

ولكن الشعر ليس الا انعكاسا للاعماق المعقدة . الحياة في غناها  
ليست واضحة . والعلاقات بين فردين ليست بالضرورة واضحة ، والحب  
ليس شيئا واضحا . اذن فلنمسك عن مطالبة الشاعر بالوضوح .

5 — يذهب الشعر حتى يصل حدود الكلمات ، واكتشاف عذرية  
الافعال . وعملية اعادة اكتشاف هذه العذرية هو تحطيم اللغة . الشعر  
الثورى لا يمكن ان يفهم بلغة مقعدة ، انه خلق لغة جديدة . الكلمات كلمات .  
وبالضبط هي كلمات . خطيرة . اننا نتهم بها .

نحن الان لا نزال في علاقة مع الكلمات .

نتنظر انتصار الكلمة .

6 — « فهم قصيدة هو اولا وقبل كل شيء سماعها » اوكتافيو باز .  
سماعها بالعينين ، جعلها تنفذ للداخل ، تسكن جسمنا وذاكرتنا

الحاضرة والمقبلة . هو أن نعيش القصيدة .  
القصيدة لا تفسر — انها مفتوحة لكل الامكانيات وكل الاذان . انها  
في حاجة للمشاركة .

7 — اسبقية الاقتصاد ( اللحظة الاخيرة ) يجب ان تكون موازية  
لاسبقية الشعر . ليس هناك تحرر للانسان دون تحرر خصائص تخيله ،  
حلمه ورغبته .

8 — لماذا يجب ان نصت للشعب ؟ لا يمكن لفرد ان يعتبر نفسه  
ذا اهمية حتى يركز نفسه في الكون . « هكذا يتكلم الشاعر المزيف عن  
نفسه باسم الآخرين في الغالب » كما يقول اوكتافيو باز . الشاعر الحقيقي  
يتكلم الى الآخرين عند تكامه الى نفسه . انه يتكلم مع الآخرين .  
الشعب هو القصيدة الوحيدة والعظيمة حينما يعبر عن فرحه او  
غضبه ، او حينما يرتج لنداء الحياة .

والشاعر ينصت لكل القوى المبدعة لشعب يتابع مسيرته .  
سواء تحدثنا عن المرأة ، الجنس ، المعمل او الارض فهسى نمط  
للمساهمة في تنمية وبناء وطن .

يجب ان يتوقف الشعر عن كونه امتيازاً للمتقنين . انه في كل مكان  
وبداخلنا جميعاً . ليس هناك شعر يسمى شعبياً وآخر يسمى شعراً بكل  
اجتناب . ليس هناك الا شعر واحد ، ويتفق ان الشعب مالكة ، غير انه  
ميمند عين التعبير .

9 — شعر الحرية .  
خلق صوت ، ومنع حياة ، ليس مسا متعلقاً بفرد ، وانما بمجتمع  
بكاماله . الشعر يماثل هذه الورود الوحشية . انه يظهر في كل مكان ، بين  
الاحجار وفي القبور ، في الجسد ، في فرحة شعب ، في حفل ، في الصداقة  
والالم والحرب ، في السماء ونفس الريح .  
انه ينصت للزمن ، وما يقوله مخيف ومعد ، يزعج الذين انكروا  
الحياة في انفسهم ، الذين يخافون المستقبل .

الطاهر بنجلون

باريس — ابريل 1974

نقله للعربية محمد بنيس .